

مطرانبة الزقازيق ومنيا القمح

كاتدرائية السيدة العذراء وماريوجنا الحبيب

محاضرة لنيافة الحبر الجليل الأنبا ياكوبوس

فى موضوع

كلمة الله إليك

" الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة " . (عب ١:١)  
كل إنسان تصله كلمة الله ، كلمة الله الخاصة به هو الله كلم الآباء بأنواع وطرق كثيرة  
كلم موسى فى العليقة فى وقت لم يكن يتوقع فيه إطلاقاً أن تصله كلمة الله ، وبهذه الصورة  
.. وأحياناً كان يكلمه من خيمة الاجتماع ، أو من على الجبل .  
وهكذا كلم شاول الطرسوسى ، فى الطريق ، فى وقت غير متوقع . ولقد كلم الرب حتى  
الخطاة غير المستحقين : مثلما كلم قايين بعد قتله هابيل ، ومثلما كلم بلعام الذى أخل شعب  
اسرائيل كله ..

وكانت كلمة الله للبعض مباشرة ، والبعض الآخر غير مباشرة .  
فقد كلم الرب أخاب الملك الشرير عن طريق ايليا النبى ، وكلم على عن طريق  
صموئيل ، وكلم هيرودس عن طريق المجوس .. وكلم كثيرين بطريق مباشر .  
وكلم الرب انواعاً من الناس ، حتى الأطفال :  
كلم صموئيل الطفل ، ولما لم يدرك كلمة الرب إليه ، كرر الكلام إليه مرتين وثلاثاً . وكذلك  
كلم ارميا النبى وهو صبى ، وهو لا يعرف أن يتكلم لأنه ولد ..

وكانت كلمة الرب متنوعة الأغراض والأهداف :  
كلم ارميا ليوجه إليه الدعوة للخدمة ، وكذلك شاول الطرسوسى ، وكلم موسى النبى لينقل  
الشرعية للناس ، وكلم ابراهيم مرة ليجربه ومرة أخرى ليخبره بعزمه على حريق سادوم ،  
ومرات أخرى .. وكلم قايين ليوقع عليه عقوبة ، وكلم المجوس ليحذرهم من هيرودس ..  
مهما تعدت الأغراض . هناك كلمة يوصلها الله لكل إنسان تحمل رسالة الله إليه ، فى هذه  
رسالة الله إليك ..

الله يجول يصنع خيراً ، يرسل كلماته إلى الناس ، يلقي بذاره على كل الأراضى ، حتى على  
الأرض المحجرة ، والأرض المملوءة شوكا .. يلقي كلمته ، ويترك سامعها لإرادته

وكثيرون من الذين وصلت إليهم كلمة الله ، لم يتلوهما :  
الشباب الغنى سمع كلمة المسيح إليه ، فمضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة .  
وآخرون سمعوا كلمة الرب فاعتذروا عن تلبيتها ، البعض بسبب أن كان له خمس بقرات ،  
والآخر إذ كان له حقل والثالث لأنه كان قد تزوج ..

الله يرسل الكلمة ، وهذه الكلمة وصلت للكل ، لم يحرم منها أحداً ، حتى يهوذا الخائن وصلتته كلمة الله أكثر من مرة .

جميلة هي عبارة " وكانت كلمة الرب إلى ايليا " .. كانت إليه هو بالذات ، وليست الى باقى الناس .. كلمة خاصة .. كذلك ما أجمل قول الرب لسمعان القديس " لى كلمة أقولها لك " .

**وكلام الرب قد يوصله بطريقة معجزية ، أو بطريقة عادية :**

القديس الأنبا انطونيوس دخل الى الكنيسة ، وسمع الانجيل ، نفس الانجيل الذى قرئ على جميع الناس .. ولكن آية معينة استوقفته ، شعر انها موجهة اليه بالذات " اذهب بع كل مالك ، واعطه للفقراء ، وتعال اتبعنى " ... شعر أن هذه الكلمة لها تأثير خاص فى نفسه ، وانها مرسله إليه هو ، فذهب وباع كل ماله .. ولما حاربته الأفكار من جهة أخته ومستقبلها ذهب إلى الكنيسة وشعر أن هناك رسالة فى انتظاره وهى قول الكتاب : لا تهتموا بما للغد ، كانت رسالة إليه بالذات .

هناك أشخاص لهم أذن حساسة لكلمات الله " لهم الحواس المدربة " تستطيع أن تدرك الكلمة المرسله من الله إليهم . وهؤلاء لا يأخذون كلمة الله من الكتاب المقدس فقط . الأنبا انطونيوس فى بداية رهبنته - تنسك عند شاطئ النهر وهناك رأى امرأة اعرابية ، قد جاءت وخلعت ملابسها أمامه ، ونزلت عارية إلى النهر . فتعجب القديس وقال لها " يا امرأة " اما تستحين أن تتعرى امامى ، وانا رجل راهب ؟! " . فضحكت المرأة وقالت له : لو كنت راهباً ، لدخلت إلى البرية الداخلية لأن هذا المكان لا يصلح لسكن الرهبان . أدرك القديس انها رسالة من الله اليه ، على فم المرأة وللحال قام وذهب إلى البرية الداخلية حسب كلمة كلمة الله إليه .

**لا تظن ان كلمة الرب لا تصل اليك إلا على لسان نبي أو ملاك ! فربما تصل على لسان مثل هذه المرأة .**

وقد حدث للأنبا افرام السريانى ، مثلما حدث للقديس انطونيوس : كان سائراً فى الطريق فأخذت امرأة تطيل النظر إلى وجهه ، حتى خجل من نظراتها .. فقال لها لماذا تطيل النظر اليّ هكذا ، وانت امرأة ؟! .. وقالت له " ليس عجباً أن تنظر المرأة الى الرجل الذى أخذت منه أما الرجل فينبغى أن ينظر إلى الأرض التى أخذ منها [من ترابها] .. وشعر الأنبا افرام السريانى أن هذه الكلمات رسالة من الله اليه على فم هذه المرأة .. فنظر الى الأرض ومضى منتفعاً .

**كثيرمن القديسين كانت تصلهم كلمة الرب بمثل هذه الوسيلة**

القديس الأنبا مقار أخذ كلمة الله من فم الصبى زكريا بنفس الوضع تقريباً كان خروج الأنبا بولا الى السياحة . اختلف مع أخيه ، وذهب الى مجلس الحكم ليخاصمه هناك ، وفى الطريق رأى جنازاً وسمع كلاماً . والتقط كلمة الله إليه ، فترك الخصومة والجنازة والدنيا كلها وذهب وتوحد .

الذين كانوا يأتون من اقاصى الأرض ليسمعوا كلمة منفعة من فم قديس . ما كانوا يرونها كلمته ، بل كلمة الله ..

الحواس المدربة تستطيع أن تلتقط كلمات الله اليها . بل ربما كلمة توبيخ تسمعها من أناس تكون رسالة من الله إليك .

داود النبي ، وهو هارب من ابنه ابشالوم ، قابله شمعى بن جيرا فى الطريق ، وشتمه شتائم مرة جارحة . ولما اراد المحيطون به ان ينتقموا من الرجل لأنه شتم مسيح الرب ، منهم داود قائلاً " الله قال لهذا الانسان اشتم داود .. " لقد استفاد داود روحياً من تلك الشتيمة وكأنها من الله .

و لكن مسكين هو الانسان ، الذى يرسل الله اليه كلمة فلا يستفيد منها أو يرفضها كأنها ليست من الله ...

هيرودس ارسل الله اليه المجوس برسالة ، فلم يستفد منها إطلاقاً وبيلاطس وصل إليه كلمة الله ذاته ، ولم يستفد .

اغريباس الملك ، ارسل الله إليه بولس الرسول بكلمات منه أثرت فيه فقال لبولس " بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً . ومع ذلك لم يصير مسيحياً .

وكما ارسلت كلمة الله الى اغريباس ، أرسلت الى فيلكس الوالى : ولكن لم يعطى مجالاً لكلمة الله كي تعمل فيه .

ومرثا وصلتها كلمة الله ، تماماً مثلما وصلت الى مريم . ولكنها تشاغلت عن الكلمة واهتمت بأمور أخرى كثيرة . وفيما كانت مريم تنتفع بالكلمة ، كانت مرثا تضطرب وتتنمر ! .

الرجل الروحى ، ليس فقط يلتقط كلمة الله ، إنما يخفيها فى قلبه ويتأملها ويستفيد منها .. لذلك ما أجمل ما قيل عن أمنا العذراء مريم انها كانت تحفظ كل هذه الأمور متألمة بها فى قلبها . إن الكنيسة من أجل فائدة كلمنة الله ، تقرأ علينا فصلاً من الانجيل فى كل صلاة من صلوات الأجيبة ، وفصلاً من الانجيل فى بخور عشية ، باكر ، وفى القداس ، وفصولاً من الرسائل ومن اعمال الرسل ، ونسمع وكأن الكلام ليس لنا !! ليست لنا الحواس المدربة التى تلتقط رسالة الله الينا فى هذا الذى نسمعه .

**قديماً كان الاهتمام بكلمة الله اكثر من أيامنا هذه :**

" ولتكن هذه الكلمات التى انا أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك ، وحين تمشى فى الطريق وحين تنام وحين تقوم . واربطها علامة على يدك ، ولتكن عصائب بين عينيك . وكتبها على قوائم ابواب بيتك وعلى ابوابك " (تث ٦ : ٦-٩) .

**أحياناً الله يرسل لك كلمته فى حادث معين .**

فى مرض أو لغيرك ، أو فى وفاة أحد معارفك ، أو فى حادث معين يرسل لك الله رسالة واضحة أو كلمة خاصة . فلا تجعل هذه الأمور تمر عليك بلا فائدة .

بقليل من الذكاء أو بقليل من الملاحظة ، نفهمها .

ما أكثر الرسائل التى يرسلها لنا الله واضحة فى حياتنا اليومية " فلما سمعوا نخسوا فى قلوبهم .. وقالوا ماذا نصنع ؟ .

كلمة الله حية وفعالة وامضى من كل سيف ذى حدين .. أثرت فى زكا وفى سجان فيلبى ولكن البعض قد ينخسه فى قلبه ويترك الأمر بعد . دون ان يقرر قراراً أو يعمل عملاً . لا تترك كلمة الله تمر عليك دون أن تأخذ قوتها .